الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السير « هيو والبول »

للأستاذ أحمد فتحى

— ١ —

تنقل إلى القراء فى هذا المقال وما يعقبه سلسلة فصول تنشرها إحدى الصحف الأدبية الكبرى فى لندن ، على أسابيع ، متضمنة جواب استفتاء وجهته إلى تسعة من كبار القصصيين الانجليز ، راجين أن ينتفع شبابنا من عشاق القصة وكتابها بهذه الفصول المترجمة بكل أمانة وإتقان

فى أوائل السنة القادمة : أى بعد بضعة أسابيع ، أرجو أن يُتاح لى الاحتفال بانقضاء ثلاثين سنة على ظهور قصتى الأولى وإن يكن قد مضى على هذا الحادث الهامّ فى تاريخ حياتى كلُّ هذا الزمن الطويل الذى يجعل من العسير أن أستدعى ذكرياته على وجه التحقيق ، فانى أستطيع أن أذكر كلّ شيء بغاية الوضوح !

وحين يسألنى الشبان ، كما يفعلون كثيراً ، من طريقة لفت الجمهور إلى قصصهم الأولى ، وعما صنعت أنا نفسى فى مثل ذلك ، يعود بى خيالى طائراً إلى الوراء ، حتى ليُخَيَّلُ إلى أنه الأمس القريب ، حين عدت إلى بيتى فى « شِلِسى » ووجدت ما سيجده القراء مفصَّلاً فى هذا المقال ...

* * *

من المحقق أن القصة الأولى التى أخرجتها لى المطبعة لم تكن أوّلَ أعمالى القصصية . فلقد بدأتُ أعالج كتابة القصة منذ طفولتى المبكرة . ولكننى لم أضع قصتى الناضجة الأولى إلا حين كنتُ فى « ليفربول » ، بعد أن فرغتُ من دراستى فى « كيمبردج »

ولقد كان سفرى إلى « ليفربول » بسبب أن أبى كان يحبُّ لى أن أكون قسيساً ، وأن أتنكر « لادّعائي » الكتابة ! ولهذا التحقتُ باحدى البعثات الدينية لرجال البحرية ، وامتطيتُ ظهر السفن لأداء واجبي كرجل من رجال الدين . واتصلت بكثير من النوتيّة المرحين فى أماسى الآحاد السعيدة . غير أنى لم أصادف نجاحاً يُذكر ؛ بسبب ما كنت أُحسُّه من اندماجى مع مشاعر فتيان البحار ، وبسبب أننى لم أكن سعيداً أبداً لايمانى بأنى سأكون « قسّيساً » فاشلاً ، مما بعث فى نفسى مضاضة وحزناً !

ولقد عاونتنى الأمسية التى كنت أقضيها فى بيتى على كتابة سبعة فصول من قصتى الأولى ؛ وكان اسمها « الدير » ، وقد ثبت عندى أنها كانت بشيراً بأخرى كتبتها بعد ذلك بأمد اسمها « الكاتدرائية » ، وبعد هذه الفصول السبعة ازدحمت فى ذهنى شخصيات كثيرة من أبطال قصة « الدير » وأخذت تختلط وتختلط حتى فقدت قيمتها ومميزاتها . ولقد علّمنى ذلك شيئاً . والحق أن الفصل الأول من هذه القصة قد احتفظ به ذهنى حتى جعلته « الفصل الأول » فى قصة أخرى كتبتها بعد ذلك باسم « الفضولى » !

ولما أدرك أبى أننى لا يمكن أن أكون قسيساً ، ظن أننى قد أصلح لأكون مدرساً ؛ ومن ثَمّ وجهنى إلى ألمانيا وفرنسا لأتعلم لغة كلٍّ من البلدين العظيمين . ولكننى لم أتعلم لغة هذه ولاتلك ، وإنما كتبت قصة طويلة كاملة اسمها « تروى ماتون » !

* * *

مقالة بعنوان « الصابرة » جمع لها فيما جمع من نثار الأفكار قدراً غير قليل ، وما أخّره عن كتابتها إلى أن وافاه الأجل إلا انتظار الخاتمة فيما أظن ، وإلا شدة احتفاله بهذا الموضوع . وهكذا نجد أن شدة احتفال الرافعى بموضوعٍ مّا يكون سبباً فى تعويقه عن كتابته أو عن تمامه :

كان يحتفل بكتابة « أسرار الاعجاز » فلم يتمه ، وبمقالتى « الزبال الفيلسوف » و « الصابرة » فلم يكتبهما ؛ ولكن التاريخ لم ينس له .

شبرا محمد سعيد العريان

* * *

ظن بعض أصدقاء الآنسة الأديبة أمينة . ش أننا نعنيها بقولنا فى الجزء السابق من هذه المقالات : « إن فتاة أديبة من أسيوط كتبت إلى الرافعى تشكو اليه أن أباها يعضلها ويذود الخطاب عن بابه حرصاً على بعض التقاليد »

فنعتذر للآنسة الأديبة من سوء ظن أصدقائها بما كتبنا ، ونؤكد لهؤلاء الأصدقاء أنها غير المعنية منا بهذا القول

ليس في وسع الألفاظ أن تعبر عن كيفية انكبابي على الكتابة ... وبعد أن فرغتُ من هذه القصة كنت شديد الإيمان بأنها من روائع الفن القصصي! وهذا ما لا أعتقده الآن في شيء من كتبي! فأرسلت بها إلى دار «آرثر بنسون» للنشر، فقد كان أحد أصحابها سيّ في «كيمبردج» ولقد تلقيت منه في «كيمبرلند» كتباً عدة عن هذه القصة، يقول في أحدها: «إني لأخشى أن تكون قصتك رديئة! ولكن هنالك شيئاً واحداً أعتقده تماماً: ذلك أن ليست لك أية مقدرة على الابتكار. قد تصبح ناقداً يوماً من الأيام؛ ولكن النقد الأدبي لن يكفل لك أكثر من حياة بئيسة!»

ولقد بلغ من ثقتي بالرجل أنني أحرقت قصتي هذه. على أنني انتفعت كثيراً من صورها — فيما بعد — في قصة أخرى سميتها «الصبر» ...

والتحقت بعمل جديد، مدرساً في كلية مدينة «إبسم» ولقد توجهتُ إليها وحيداً، فقد كانت على مقربة من «لندن» وفيها كنت أرجو أن أبدأ حياتي الأدبية

والحق أنني إلى تلك اللحظة لم أتلق كلمة تشجيع واحدة لأعمالي الأدبية من أي إنسان! . وفي «إبسم» كتبت قصتي الأولى التي أخرجتها المطبعة للناس باسمي. وقد اخترت لها اسم «الحصان الخشبي» وكنت قد أظهرت على نصفها أستاذاً كانت تلوح عليه أمارات الذكاء؛ ولكنه ردّ عليّ أوراقها مع قوله: «لست يا «والبول» قصصياً على أي حال ...!»

ورغم هذا فمهما بلغ من قلة ثقة الناس بي؛ فلقد كنت وطيد الثقة بنفسي! ولقد بدا لي عجيباً جداً أن يكونوا جميعاً بهذا العمى! ولقد أصبحت الآن، بعد هذه السنين الطويلة، أعجب لما كان لي من ثقة بالنفس لم يكن يشجع عليها شيء!

واعترض طريق حياتي رجل بادن يقال له «ماسّي» أبجّل الآن وأحيّي روحه المرح لأنه كان أول من تفضل عليّ بالتقدير. ومع أن تقديره ذاك بدا لي في ذلك الحين طبيعياً، بل حقاً من حقوقي، فانني الآن لأعجب لهذا التقدير من الرجل؛ في أي تربة نبتت؟!

كان «ماسّي» ضخم الجسم شاحباً غائض دم الوجه. وكان يشرك «كرتس براون» في وكالة أعمال أدبية. وقد أبدى لي رغبته في استخدامي لعمل خاص بتلك الوكالة الأدبية على أن يوظف لي جنيهات قليلة كلّ أسبوع. وبهذا الروح المرح قذفت بعمل التدريس الذي كنت أمقته. واكتريت حجرة أرضية صغيرة في «شلسي» أجرها الأسبوعي ريال واحد! وهكذا بدأتُ حياتي الأدبية ..

كانت فكرة «ماسّي» أن أضع كتاباً يبحث في طرق توجيه الناشئة. غير أنه لم يكن عنده، ولا عندي، رأي ما في الموضوع! . غير أن الرجل ظلّ يدفع لي المال الذي وعد به تماماً كاملاً. وهو شديد الثقة بي؛ وأخشى ألا أكون قد صنعت شيئاً يحقق تلك الثقة العمياء!!

أكملت قصة «الحصان الخشبي» وكان عليّ بعد ذلك أن أبحث عن ناشر .. وإني لأذكر كيف كتبتُ أسماء كافة الناشرين في «بريطانيا العظمى» على رقعة طويلة من الورق. وكنت أظن حينذاك أنني سأبعث بالكتاب إلى كل هؤلاء الناشرين تباعاً، بعد أن أنتزع عنه اسمي وأضع مكانه اسماً مستعاراً هو «م. س» لأنني كنت قد قرأت الكثير عن العبقريات المبتدئة، وعلمت أن العبقري الناشيء لابد أن تُردّ عليه قصته التي تحمل اسمه المستعار — بدلا من اسمه المجهول — مرات كثيرة، قبل أن يحين يوم حظه السعيد! وكان أول ناشر وقع عليه اختياري هو «سمث إلدر» .. لأنه كان قد نشر أعمالاً ناجحة كثيرة. وكان يخيل إلي أن كتابي يجب أن تظل آمالي فيه معلقة بهذا الناشر بضعة أسابيع ..!

ولقد كنت في تلك الأيام سعيداً إلى غير حد، إذ كان يسيراً جداً أن أعيش بمائة وخمسين جنيهاً في العام. كنت طليقاً، وكان لي أصدقاء في لندن؛ وإن لم يكونوا بكثرة أصدقاء واحد من رجال الأدب بعد. وإني لأذكر كيف كان يروقني أن أتروض بالسير في «طريق الملك في شلسي» وكيف كنت أقول لنفسي حين أبصر السابلة: «سيأتي يوم يقف فيه هؤلاء الناس وسط

طريقهم ويشيرون إليَّ وهم يقولون « هذا هو والبول يمشي هنالك ! »

وكان إلى جانب النهر مطعم كنت أستمرىء فيه وجبات طعامي ؛ وكان الفنانون يجيئون فيحتلون منضدة متوسطة ، وهم يضجون في مرح . ولقد كنت أشعر بأن جوهم يحتضنني أيضاً . وكثيراً ما كنت أغشى مرقصاً أو داراً للتمثيل ، كلما كان ذلك في طاقة نقودي . ولم يكن لي من الرغبات ولا المخاوف شيء في الحياة ! !

وعدت إلى غرفتي يوماً فوجدت خطاباً من الناشر ، يقول فيه بلغة بالغة حدَّ العظمة والكبرياء « إنهم سيطبعون كتابي » ولقد قرأت هذا الخطاب مرات ومرات . ثم أصابتني حمى الفرح !. ويستطيع المؤلفون أن يقولوا لك إن سعادة في الدنيا لا يمكن أن تقاس إلى سعادة المؤلف بقبول الناشر إخراج كتابه الأول ! وفي الحق ، لقد مرت بي إلى ذلك الحين لحظات كثيرة من السعادة ، ولكنها جميعاً لم تكن تعدل سعادتي بذلك الخطاب

ووثبت إلى الطريق والخطاب في يدي ، وهرعت إلى المطعم المتيد واندسست بين الفنانين الجالسين ؛ ورغم أني لم أكن أعرف أحداً منهم فقد حدثتهم بما صادفني من حسن الحظ . فشربوا نخبي ، وبعد الغداء اصطحبوني إلى « استديو » أحدهم ، ومن هذه اللحظة ؛ أحسست أن حياتي الحقيقية قد بدأت !

* * *

بعد ذلك توجهت لزيارة دار « سميث إلدر » للنشر والتأليف بمستر « ريجنالد إلدر » . وإني لا أتصور الآن أن في دار من دور النشر مثل ما كان في غرفته من الفخامة والعظمة والأبهة ! وقد كان رجلا طويلا له سالفتان من شعر كث تتدليان إلى جانب صدغيه ، كما كانت تبدو عليه الهيبة التي كانت تلازم رجال النشر في تلك الأيام !

ودعا لي الرجل بالتوفيق ، وبعد ذلك عرَّج على حديث سوقيّ ! قال إن الوقت عصيب بالنسبة للناشرين ، ولهذا لم يكن في وسعه أن يدفع لي شيئاً من المال عن النسخ الثمانمائة الأولى من كتابي . وبعد بيع هذا العدد من النسخ يكون لي حق النشر في ثمن ما يباع . ولم يسترع قوله اهتمامي ، إذ لم يكن يعنيني شيء سوى أنني لن أدفع شيئاً !.

ولقد كان « ريجنالد سميث » رجلاطيبا ، كما يبدو من اسمه . فأخرج « الحصان الخشبي » في غلاف رائع بالألوان . وبعد شهرين فقط رأيت في محل أحد باعة الكتب النسخة الأولى من كتابي . وبعد أسبوع من ظهور الكتاب كنت أجالس مع « المستر تشارلس ماريوت » في « الكورنول » وهو مؤلف كثير من أحسن القصص التي كتبت عن « الكورنول » قدمت إليه واحدة من النسخ الست الأصلية من « الحصان الخشبي » .

وبعد ستة أشهر أخبرني الناشر بأن ثمانمائة نسخة من كتابي — بالضبط — قد نفدت . وكنت قد أنفقت ثلاثة جنيهات في كتابة النسخ الأصلية على الآلة الكاتبة . ولهذا كنت إلى ذلك الحين محتملاً خسارة هذه الجنيهات الثلاثة . ولكن لو لم يكن من الغرور والفخر لذكرت أن الكتاب كان يباع دائما . وأنني تلقيتُ بعد وقت قصير حصتي في ثمن النسخ التي بيعت ذلك العام

وهنالك شيء أظنه على غير قليل من الطرافة ، هو كيف أنني انقلبت من قصصيٍّ هاوٍ فاشل إلى مؤلف محترف بكل معنى الاحتراف ، وهذا ما لم أفهمه أبدا

وبالرغم من أن قصتي « تُرُويْ هانتون » لم تكن قصة مؤلف محترف متمكن على ما أذكر ، وأنني ارتكبت فيها كل الأخطاء الممكنة من حيث الفكرة والأسلوب والبناء ، فإن قصتي « الحصان الخشبي » التي كتبتها بعدها مباشرة ؛ كانت أحسن ما كتبتُ من قصص مُجَوَّدة . وقد لا تكون مكتوبة بيد مرنة طويلة الخبرة بدقائق الفن ؛ ولهذا السبب فأن قيمتها الأدبية التافهة لم تكن شيئاً يذكر ؛ ولكن . . . بعد أن تعلمت هذه الدقائق الفنية لم تعد لي هذه التفاهة في التفكير !

وعلى أي حال فقد مضت سنون سعيدة جداً قبل الحرب ، لم يكن التزاحم فيها بين القصصيين قد بلغ من العنف ما بلغه اليوم .

ولم تكن الصحف الكبرى تعنى بنشر روائع الفن القصصى . ولهذا لم يبرز من القصصيين العباقرة سوى أفراد قلائل جدا ، مثل « مردث » و « هاردى » و « هنرى جيمس » ، فى حين كان معظم كتاب القصة مشغولين بقص حكايات يستمدون أبطالها من شخصيات الحياة العملية بقدر الامكان . ولم تكن هنالك اتجاهات نظرية معينة فى الفن القصصى إلا بقدر محدود ، كما أنه لم يكن هنالك من يعنى بشئ من وسائل الدعوة الخاصة على وجه الاطلاق !

ولقد كان للحياة فى هذه السنين منظر ساحر خلاب بصفة عامة . فاذا أنت كتبت عن شخصية سعيدة ثم اختتمت قصتك ختاماً سعيداً أيضاً ، فانك تكون بذلك فناناً أميناً على الحق فى فنك . وإذا حملت على بعض مظاهر السلوك الخاق أو السياسى ، فانك بذلك لم تكن قد تورطت فى موضوع ردىء !

تركت « الدر سمث » بعد أن نشرت لى كتابى الثانى ، لأنى كرهت أن أسلم ثمن النسخ الثمانمائة الأولى من كل كتاب من كتبى : وصادقت « مارتن سيكر » ذلك الناشر النبيل الذى كان فى ذلك الوقت يدعى « د . ه . بورنس وكومبتون ماكنزى وفرانك سونيرتوس وفرانسيس برت بونج وجلبرت كانان » وليس فى وسع يراعى أن يعبر عما ندين به للصديق « مارتن سيكر » فلقد كان صديقاً وفياً . يتولى مهمة الناشر فى إخاء ومودة ؛ وإنه ليسعدنى أن أذكر أنه حينما غامر بنشر قصتى « الصبر » ؛ لم يأسف على هذه المغامرة ! !

القاهرة — احمد لطفى

تحذير للجمهور

اتصل بادارة المصنع ان بعض محلات الطرابيش تعرض للبيع طرابيش أجنبية باسم طربوش القرش المصرى . كما أنها تعلن عن بيع طرابيش القرش بغير أسعارها المحددة . ولما كان هذا العمل مضرا بسمعة الطربوش المصرى عدا مافى ذلك من تضليل للمشترى وحمله على شراء بضاعة بغير صفتها الحقيقية .

لذلك ترى إدارة المصنع من واجبها أن تحذر الجمهور من ذلك وتنبهه الى ان جميع طرابيش المصنع مختومة بختمين : الأول ختم طربوش القرش الأسود وهو الختم الأوسط أعلاه والثانى ختم الصنف وهو يبين نوع الطربوش كما هو فى الأختام الأخرى المبينة أعلاه والمرجو من كل مشتر أن يدقق فى فحص هذه العلامات عند عرض الأصناف وقت الشراء إذ ليس لطربوش القرش فى الوقت الحاضر أصناف أخرى غير الأصناف المبينة أعلاه كما أن الأسعار محددة .

طربوش القرش
مصنوع بأكمله فى مصر وبأيد مصرية
صناعة مصرية صميمة